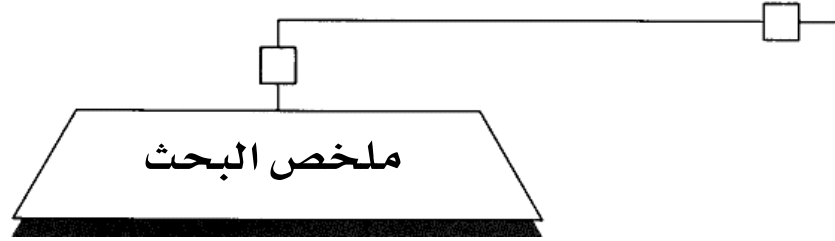


حديث تبرك النبي ﷺ بماء المطاهر

- دراسة حديثية عقديّة -

د / أيمن بن محمد الحمدان
أكاديمي سعودي، أستاذ العلوم الإسلامية المساعد بكلية
الملك عبد العزيز الحربية





الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده.

أمّا بعد : فهذا بحث موجز، يدرس مسألة من مسائل التبرُّك، جاء فيها حديث حسنه بعض أهل العلم، وبُنيّت عليه مسائل تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة من عقيدة، وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم، ونصّه الذي هو محل الدراسة: «وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين».

فذكرت الحديث ومن خرجّه، وذكرت معناه، وبُنيّت كيف استدل بظاهرة بعض أهل العلم.

ثم درست الحديث في سنده، وبيّنت أنه خطأ من الراوي، وأنه منكر لا يصح الاستدلال به.

و درست متنه من جهة عرضه على أصول العقيدة في باب التبرُّك وردّها إلى قواعد أهل السنة والجماعة.

وخلصت في هذا البحث إلى أنّ الحديث منكر، وأنه لا يُتبرَّك بأحد من البشر إلا بالنبي ﷺ فقط، لا أن النبي ﷺ يطلب البركة من آثار وضوء المسلمين.

د / أيمن بن محمد الحمدان

aymn797@gmail. com

المقدمة

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠] (١).

أما بعد : فلا يخفى أن من أصول أهل السنة والجماعة، الاعتماد على

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة، أخرجها أبو داود في سننه كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم الحديث (٢١١٨)، والترمذي في جامعه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم الحديث (١١٠٥)، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم الحديث (٣٢٧٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم الحديث (١٨٩٢).

الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، لاسيما فيما يتعلق بالعقائد، والحذر من الأحاديث الواهية والموضوعة التي تعلق بها من ابتداع في الدين، ليجد منها ملاذاً يسند بها بدعته.

ولذلك تميز منهج السلف بالعناية بالإسناد، والتفتيش عن الرواة، وغريبة الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، وتمييز الصحيح منها من الدخيل، قال عبد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(١)، ذلك أنّ ما ينسب إلى النبي ﷺ ينبنى عليه حكم اعتقادي علمي، أو حكم شرعي عملي.

وكم بُنيت مسائل عقدية على أحاديث ضعيفة واهية، أو موضوعة^(٢)، فعارضت بذلك أصولاً عقدية محكمة، بل بعضها ينقض أصل التوحيد، أو يقدر في كماله الواجب، أو يفتح باب ذريعة إلى ذلك، لا سيما مع فشوّ الجهل بعقيدة التوحيد، على حين انتشار البدع والمحدثات والخرافات، والتعلّق بما لا يضر ولا ينفع من المخلوقات، ومن تعلّق شيئاً وُكل إليه.

ولأجل ما تقدم أحببت دراسة حديثٍ جاء في بعض دواوين السنة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قلت: يا رسول الله الوضوء من جرّ جديد مخمّر أحب إليك، أم من المطاهر؟ فقال : «لا، بل من المطاهر، إنّ دين الله الحنيفية

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب في أنّ الإسناد من الدين (٣٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال : الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص: ١١٧، والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها على بدع العبادات، ص: ١٠٤.

السمحة». قال : وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين^(١).

ومفاده أنّ النبي ﷺ يطلب الماء من مطاهر المسلمين يلمس بركة أيديهم، ففيه نسبة تبرك النبي ﷺ بآثار وضوء المسلمين، وذلك على خلاف ما استفاض من سنّة ﷺ القولية والفعلية والتقريرية من أنه ﷺ هو الذي يُتبرك بذاته وأثره، لا أنه ﷺ يُتبرك بأحد من المسلمين، فأحببت أن أدرس هذا الحديث من منطلق عقدي.

ومسألة التبرك مسألة مهمة من مهمات مسائل العقيدة، جاءت في مصنفات أهل السنة والجماعة، وقررها العلماء على وفق ما جاء في نصوص الوحي، لا وكس ولا شطط.

ومن المقرر عند أهل السنة والجماعة أنّ التبرك نوعان : مشروع وممنوع^(٢)، وقد عدّوا التبرك بالصالحين من التبرك الممنوع، بل ومن إحدى أهم وسائل الغلو في الصالحين المؤدية إلى الشرك الأصغر والأكبر^(٣).

فهل هذا الحديث الذي روي عن النبي ﷺ ثابت عنه؟ وما منزلته عند أهل الحديث؟ وهل ما جاء فيه من التماس بركة أيدي المسلمين من ماء الوضوء من قبيل التبرك الممنوع؟

كل ذلك هو محل الدراسة في هذا البحث الذي لم أجد من كتب فيه،

(١) يأتي الكلام على تحريجه، (ص ٤٠١).

(٢) ينظر : التبرك، أنواعه وأحكامه، ص: ٣٩.

(٣) ينظر : شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، ص: ٣٣٦.

مع ميسيس الحاجة إليه.

✽ الدّراسات السابقة :

من الدراسات السابقة في موضوع التبرك ما يلي :

١- رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين، قسم العقيدة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعنوان : التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور / ناصر بن عبد الرحمن الجديع، تطرّق فيها إلى معنى التبرك، والتبرك المشروع، والتبرك الممنوع وأسبابه وآثاره، الناشر مكتبة الرشد، بدون ذكر سنة الطبع.

٢- رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية، بعنوان : التبرك المشروع والممنوع في العقيدة، للمؤلف : ناصر بن حميدان العوفي، عام ١٤٠٨هـ.

رسالة : التبرك المشروع والتبرك الممنوع، للدكتور / علي بن نفيع العلياني، طبع دار الوطن عام ١٤١١هـ.

وكل هذه المؤلفات في التبرك لم تتطرّق إلى هذا الحديث الذي أريد البحث فيه، لا من قريب ولا من بعيد، وهذا البحث يدرس جزئية من مسائل التبرك لم أجد من تطرّق إليها بالدراسة والبحث والتمحيص، على حين أنه يتعلق بمسألة عظيمة في موضوع التبرك.

وكذلك مؤلفات العقيدة التي تناولت موضوع التبرك، لم أجد من ذكر هذا الحديث وعلّق عليه بشيء، غير أنه مذكور في كتب الحديث التي أخرجته، بيد أن الشيخ الألباني ذكره في السلسلة الصحيحة، كما أنه حسّنه في صحيح الجامع الصغير، ثم ذكره بأخره في سلسلة الأحاديث الضعيفة.

❁ منهج البحث :

سلك الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وقد جمع مادّة هذا البحث من مظانها على منهج البحث العلمي المعتمد، وعزا الآيات في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية، والتزم كتابتها بالرسم العثماني، وخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وبيان حكمها إذا كانت في غير الصحيحين، وعزا الأقوال لأصحابها.

❁ أهداف البحث :

- ١- حفظ جناب التوحيد والدين الخالص مما يقدر فيه.
- ٢- تحرير الحكم الحديثي على حديث تبرك النبي ﷺ بماء المطاهر.
- ٣- تحرير حكم الاستدلال بحديث تبرك النبي ﷺ بماء المطاهر، مع معارضته للأصول العقديّة.
- ٤- تكميل الدراسات في موضوع التبرك.

❁ حدود البحث :

يقتصر البحث على حديث تبرك النبي ﷺ بمطاهر المسلمين يلتبس بركتهم، سندًا ومتنًا، وما يشبهه مما هو في معناه، ورد هذه المسألة إلى أصول العقيدة، والمحكم من نصوص الشريعة.

❁ خطة البحث :

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، على النحو التالي :
مقدمة.

تمهيد : وفيه معنى التبرك.

الفصل الأوّل : نص الحديث وتخرجه، ودراسة أسانيده، وبيان معناه.

وفيه مبحثان :

المبحث الأوّل : نص الحديث وتخرجه ودراسة أسانيده.

المبحث الثاني : أحاديث أخرى في الباب، مع دراسة أسانيدھا.

الفصل الثاني : دراسة موضوع الحديث.

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث :

تمهيد.

المبحث الأوّل : بيان الأصل الشرعي في التبرك بالأشخاص.

وفيه مطلبان :

المطلب الأوّل : التبرك بذات النبي ﷺ وأثره في حياته.

المطلب الثاني : تبرك الصحابة بأثر النبي ﷺ بعد وفاته.

المبحث الثاني : حكم التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً.

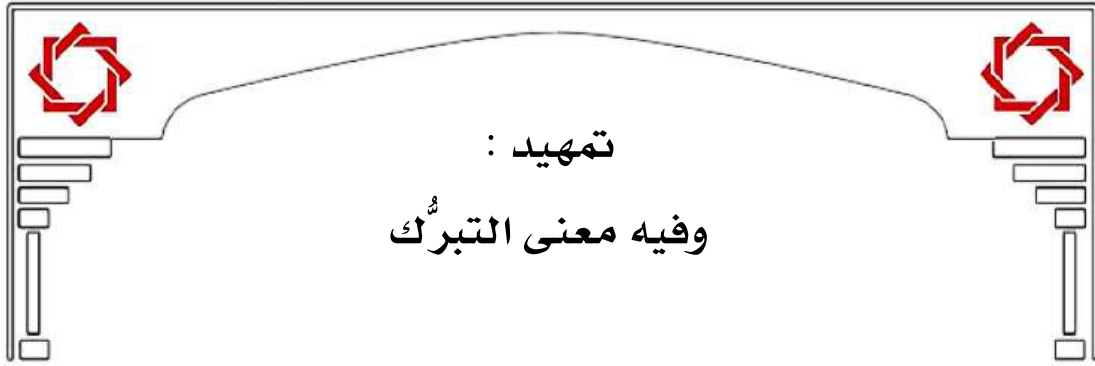
المبحث الثالث : آثار التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.





تمهيد :

وفيه معنى التبرُّك

التبرُّك في أصله على وزن (التفَعَّل) المفيد للطلب، أي : طلب البركة.
والتبرُّك مأخوذ إما من لفظ «بُرُوك» بمعنى : ثبت وأقام، وهو مأخوذ من
بَرَكَ البعير، إذا ألقى بَرَكُهُ بالأرض، أي : صدره، وكل شيء ثبت وأقام فقد
بَرَكَ^(١).

وتَبَرَّكَ بالمكان : أقام به^(٢).

وإمّا من لفظ «بَرَكَة» والبركة في اللغة كما قال ابن فارس : «الباء والراء
والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»^(٣).
والبركة في معناها الشائع : «النماء والزيادة، حسيّة كانت أو معنويّة،
وثبوت الخير الإلهي في الشيء وداومه»^(٤)، وحقيقتها ثبوت الخير ولزومه

(١) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ٢٧ / ٥٩، ومختار الصحاح، ص: ٣٣، والتمهيد لشرح

كتاب التوحيد، ص: ١٢٣.

(٢) لسان العرب ١٠ / ٤٠٥.

(٣) مقاييس اللغة ١ / ٢٢٧.

(٤) الكليات، ص: ٣٧٢.

واستقراره^(١).

وعلى ما تقدم يكون معنى البركة : النماء والزيادة، وكثرة الشيء الذي فيه الخير، وثباته ودوامه، ولزومه، فالتبرك هو : طلب الخير الكثير، وطلب ثباته ودوامه، وطلب لزومه، فتبرّك بالشيء، يعني : طلب البركة منه^(٢).

ويقال : تبرّكت بالشيء، أي : تيمّنت به^(٣).

والبركة مصدرها من الله ﷻ فهو واهبها، وهو الذي يجعل البركة حيث أراد^(٤)، كما جاء في الصحيح، قال النبي ﷺ : «البركة من الله»^(٥)، ولا تُطلب البركة إلا من الله ﷻ.



(١) ينظر: جلاء الأفهام، ص: ٣٠٢.

(٢) ينظر : لسان العرب ١٠ / ٣٩٥، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص: ١٢٣.

(٣) لسان العرب ١٣ / ٤٥٨.

(٤) ينظر : التبرك المشروع والتبرك الممنوع، ص: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، رقم الحديث

(٥٦٣٩).

الفصل الأول :

نص الحديث وتخریجه، ودراسة أسانيده،

وبیان معناه

وفیه مبحثان :

المبحث الأول : نص الحديث وتخریجه، ودراسة إسناده

المبحث الثاني : أحاديث أخرى في الباب، مع دراسة

أسانیدها



المبحث الأوّل :

نص الحديث وتخرّيجه، ودراسة إسناده

✽ نص الحديث وتخرّيجه :

أخرج الطبراني (١) والبيهقي (٢) وأبو نعيم (٣) وابن عدي (٤) كلهم من طريق حسان بن إبراهيم الكرماني، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال : قلت : يا رسول الله الوضوء من جرّ (٥) جديدٍ مخمّرٍ (٦) أحبُّ إليك، أم من المطاهر؟ (٧)، فقال : «لا، بل من المطاهر، إنّ دين الله الحنيفية السمحة».

وزاد الطبراني والبيهقي وأبو نعيم من طريق محرز بن عون عن حسان بن

(١) المعجم الأوسط ١/٢٤٢.

(٢) شعب الإيمان ٣/٣٠.

(٣) حلية الأولياء ٨/٢٠٣.

(٤) الكامل في الضعفاء ٢/٣٧٤.

(٥) هي أواني الخزف، ينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ٢/١٠٨.

(٦) المخمّر هو المغطّى، وكل مغطّى : مخمر، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٥/١٨٨.

(٧) جمع مطهرة، وهي كل أناء يتطهر منه، والمراد الحياض والبرك المعدة للوضوء، ينظر : التمهيد لما في

الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨/٢٥٨.

إبراهيم الكرماني عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : «وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين».

✽ دراسة الإسناد :

جاءت زيادة ما أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم أن الرسول ﷺ كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء يشربه تبرّكاً بأيدي المسلمين، وهذه الزيادة جاءت من طريق مُحَرِّز بن عون، عن حَسَّان بن إبراهيم الكرماني، عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، عن نافع، عن ابن عمر.

وإسناد هذا الحديث وثقه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال : ورجاله موثقون^(١).

وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة^(٢)، وحكم عليه أنه حسن^(٣).
ورجال سند الحديث ظاهره التوثيق، فمحرز بن عون الهلالي، روى له مسلم في صحيحه، وقال يحيى بن معين : ليس به بأس، ورتبته عند ابن حجر : صدوق^(٤).

وحسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرماني، روى له البخاري ومسلم وأبو

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢١٤/١.

(٢) ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ١٥٤ / ٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٨١/٢.

(٤) ينظر : تقريب التهذيب، ٢٣٩، وتاريخ الإسلام ٩٣٨ / ٥، وتهذيب التهذيب ٥٢/١٠، وإكمال تهذيب الكمال ٩٥/١١.

داود، ورتبته عند ابن حجر : صدوق يخطئ^(١)، وقال النسائي : ليس بالقوي، قال أبو زرعة : لا بأس به، ووثقه الإمام أحمد واستنكر له أحاديث^(٢).
وقال ابن عدي : «حدّث بإفرادات كثيرة، وحسان عندي من أهل الصدق، إلا أنه يغلط في الشيء، وليس ممن يظن به أنه يتعمد في باب الرواية إسناداً أو متناً، وإنما هو وهم منه وهو عندي لا بأس به»^(٣).
وقال الألباني : «وحسان هذا مختلف فيه، ويتلخص من أقوال العلماء أنه صدوق في نفسه، ولكنه يخطئ»^(٤).
ولذلك لما ترجم له ابن عدي في الكامل، ساق من هذا الحديث شطره الأول دون زيادة التبرك بالمطاهر في جملة ما أنكره عليه، فكيف بهذه الزيادة!.
وقال بعد أن ذكر ما أنكره عليه : «فلم أجد له أنكر مما ذكرته من هذه الأحاديث، وحسان عندي من أهل الصدق، إلا أنه يغلط في الشيء، وليس ممن يظن به أنه يتعمد في باب الرواية إسناداً، أو متناً، وإنما هو وهم منه»^(٥).
وعبد العزيز بن أبي رواد المكي، روى له البخاري تعليقاً، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، ورتبته عند ابن حجر : صدوق عابد ربما وهم،

(١) تقريب التهذيب، ص: ١٦٣.

(٢) ينظر : ميزان الاعتدال ١ / ٤٧٧، تاريخ الإسلام ٤ / ٨٣٢.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢ / ٣٧٥.

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٣ / ١٠٧٥.

(٥) الكامل في الضعفاء ٢ / ٣٧٥.

ورُمي بالإرجاء^(١).

وقال أبو حاتم : صدوق متعبّد^(٢)، وقال أحمد : صالح الحديث^(٣).

ونقل ابن حبان عن أبي حاتم قوله : روى عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة لا يحلّ ذكرها إلا على سبيل الاعتبار^(٤)، وقال الذهبي : الشأن في صحة تلك الأحاديث عن عبد العزيز^(٥).

ومما يؤيد ما تقدم أنّ الإمام عبد الرزاق الصنعاني رواه في مصنفه مراسلاً عن عبد العزيز بن أبي راود، قال أخبرني محمد بن واسع أنّ رجلاً قال : يا رسول الله جرّ مخمّر جديد أحبّ إليك أن تتوضأ منه، أو مما يتوضأ الناس منه أحبّ؟، قال : «أحبّ الأديان إلى الله الحنيفية، قيل : وما الحنيفية، قال : السمحة، قال : الإسلام الواسع»^(٦).

ويظهر من رواية الإمام عبد الرزاق أنّ الخطأ وقع من حسان بن إبراهيم الكرماني في وصله، وهو مرسل، وفي متنه من جهة تلك الزيادة في تبرّك النبي ﷺ بمطاهر المسلمين، ويؤيد ذلك ما تقدم من نقل ابن حبان عن أبي حاتم أن عبد العزيز بن أبي رواد روى عن نافع، عن ابن عمر، نسخة موضوعة لا يحلّ ذكرها

(١) تقريب التهذيب، ص: ٤٧٢، وتهذيب التهذيب ٦/٣٠١.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/٦٢٨.

(٣) المجروحين لابن حبان ٢/٦٣.

(٤) المجروحين لابن حبان ٢/٦٣.

(٥) تاريخ الإسلام ٤/١٣٧.

(٦) مصنف عبد الرزاق ١/٧٤.

إلا على سبيل الاعتبار، ووجّه الذهبي قوله في أن الشأن في صحة تلك الأحاديث عن عبد العزيز بن أبي رواد.

فظهر أنّ الخطأ في هذا الحديث جاء من جهة حسان بن إبراهيم الكرمانى، ولذلك قال الألبانى : «فمثله يكون حسن الحديث، إذا خلا من المخالفة والنكارة»^(١)، ولكنه «قد خولف في إسناده، فقد عَقَّب عليه ابن عدي بإسناده الصحيح عن وكيع، قال : عبد العزيز بن أبي رواد، عن محمد بن واسع الأزدي قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ... فذكره، قلت - الألبانى - : فقد خالفه وكيع - وهو إمام ثقة عند الجميع - فرواه عن عبد العزيز، عن محمد بن واسع، مرسلًا، فدل على خطأ وصل حسان إياه عن نافع، عن ابن عمر»^(٢).

ورواة هذا الحديث لا يُتهم أحد منهم في صدقه وعدالته، ولكن ربما وقع الوهم والخطأ عنده من جهة الإسناد، ومن جهة المتن. ومما تقدم فيه دلالة على خطأ حسان بن إبراهيم الكرمانى فيه من جهة وصله وهو مرسل.

وكذلك من جهة الزيادة في الحديث التي هي محلُّ الدراسة من هذا البحث، وهي : «كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين». وأمّا النكارة من جهة المتن، فإنَّ حسان بن إبراهيم قد تفرَّد بزيادة تبرُّك النبي ﷺ بمطاهر المسلمين، حيث خالفه وكيع بن الجراح - على إمامته وجلالة

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٣/١٠٧٥.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٣/١٠٧٦.

قدره - ولم يذكر تلك الزيادة.

والشيخ الألباني حسنّ إسناده هذا الحديث في صحيح الجامع الصغير^(١)، لظاهر ثقة الرواة، إلا أن له علّة خفيّة، استدرك الألباني بسببها الحكم على الحديث في السلسلة الضعيفة وحكم عليها بالنكارة^(٢).

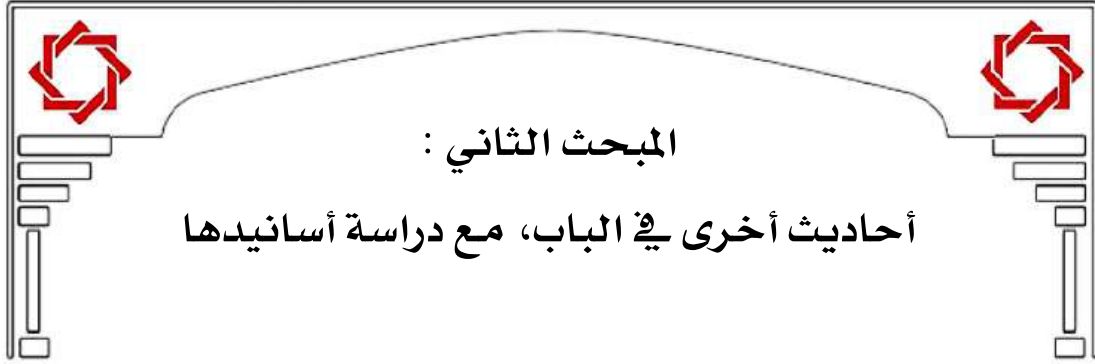
ولذلك لم يرد في دواوين السنة ومصنفات الحديث ما يشهد لهذه الزيادة - فيما وقفتُ عليه - ومثل هذه الحال لا تخفى، بل تتوفر الدواعي والهمم على نقلها لو كانت، والذي جاء في دواوين السنة والحديث عكس معنى هذه الزيادة، فقد جاء نقل تبرُّك الصحابة بالنبي ﷺ بذاته وأثره مستفيضاً، وفي وقائع متعددة كما سيأتي.

فثبت بذلك ضعف الحديث ونكارتة من جهة الإسناد، وكذلك بطلانه من جهة المتن، ففيه مخالفة للأصول العقدية في التبرك كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.



(١) ينظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٨١/٢.

(٢) ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٣/١٠٧٤.



ومما يدخل في معنى هذا الحديث - حديث المطاهر - آثار جاءت مفرقة في بعض فنون كتب العلم، والذي وقفت عليه من ذلك ما يلي :

أوّلاً : ما ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين بقوله : وروي أنه ﷺ لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها، فإذا التمر المنقّع في حياض الأدم^(١) وقد مغّته^(٢) الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون، فاستسقى منه، وقال : «اسقوني»، فقال العباس : «إنّ هذا النبذ شراب قد مُغث وخيض^(٣) بالأيدي، أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جرّ محمّر في البيت؟»، فقال : «اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس، ألتمس بركة أيدي المسلمين»، فشرب منه^(٤). وقال العراقي : «رواه الأزرقى في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند

(١) الحياض هي مجمع الماء، والأدم الجلود، أي : أوعية الماء من الجلود، ينظر : فتح الباري لابن حجر ٤٦٦/١١.

(٢) مغّث الشيء أمغّته مغثاً، إذا مرسته ولينته، ينظر : المخصص، لابن سيده ٢٥٤ / ١.

(٣) مأخوذ من الخوض، وهو المشي في الماء، لسان العرب ١٤٧/٧.

(٤) إحياء علوم الدين ٢٢٥/٢.

ضعيف، ومن رواية ابن طاووس مرسلًا نحوه^(١).

والذي جاء في أخبار مكة عن الأزرق بسنده عن ابن عباس : أن رجلاً نادى ابن عباس والناس حوله فقال : «سُنَّةٌ تتبعون بهذا النبيذ، أم هو أهون عليكم من العسل واللبن؟ فقال ابن عباس : «جاء النبي ﷺ عباسًا فقال : «اسقونا»، فقال : إن هذا شراب قد مُغِث ومُرث^(٢)، أفلا نسقيك لبنًا وعسلًا؟ فقال : «اسقونا مما تسقون منه الناس»، قال : فأتى النبي ﷺ، ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار بعساس النبيذ^(٣)، فلما شرب النبي ﷺ عجل قبل أن يروى فرفع رأسه، فقال : أحسنتم هكذا اصنعوا، فقال ابن عباس : فضاء رسول الله ﷺ بذلك أحب إلينا من أن تسيل شعابنا علينا لبنًا وعسلًا^(٤).

وذكر بسنده عن ابن طاوس، عن أبيه مرسلًا، «أن النبي ﷺ أفاض في نسائه ليلاً وطاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه، ويقبل طرف المحجن، ثم أتى زمزم فقال : انزعوا، فلولا أن تغلبوا عليها لنزعت، فقال العباس ﷺ : إن يفعل فرما فعلت، فذاك أبي وأمي، ثم أمر بدلو، فنزع له منها، فشرب فمضمض، ثم مَجَّ في الدلو، وأمر به فأهريق في زمزم، ثم أتى السقاية، فقال : اسقوني من

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ص: ٥٤٢.

(٢) مأخوذ من المرث، ومرث التمر بيده يمرثه مرثًا، أي : مرسه، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٣٥٧/٥.

(٣) العساس جمع عسّ، وهو القدح الكبير، أي : أقداح النبيذ، وهو الماء الذي يُنبذ فيه التمر، ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٦١٥.

(٤) أخبار مكة للأزرق ٢ / ٥٦.

النبيد، فقال عباس : يا رسول الله إنّ هذا شراب قد مُغِث، وثَقُل (١)، وخاصته الأيدي، ووقع فيه الذباب وفي البيت شراب هو أصفى منه، قال : منه فاسقني، يقول ذلك ثلاث مرات، وأعاد النبي ﷺ قوله ثلاث مرات، كل ذلك يقول : منه فاسقني، فسقاه منه فشرب» (٢).

والذي جاء من رواية ابن طاووس المرسلة عكس ما ذكره الغزالي، ففيه : «ثم معجّ في الدلو، وأمر به فأهريق في زمزم» (٣)، على ضعف سنده، وهذا على الأصل في التبرك بالنبي ﷺ، لا أنّ النبي ﷺ يطلب البركة من فضل وضوء المسلمين، ومن آثار أيديهم.

ويلاحظ من خلال نقل هذه الروايات أن الذي في كتاب أخبار مكة للأزرقي ليس فيه هذه الزيادة التي ذكرها الغزالي : «فقال : اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين».

وهذا الأثر الذي ذكره الغزالي بدون سند، لا يوجد في دواوين السنة والحديث - فيما وقفت عليه - ولذلك لم يجد ابن السبكي له إسناداً (٤). وذكر محب الدين الطبري أيضاً زيادة على ما ذكره الأزرقي في أخبار مكة

(١) مأخوذ من الثَّقُل، وهو ما استقر تحت الشيء من كدرة ونحوها، يقال : ثقل الماء والمرق والدواء وغيرها، أي : علا صفوه ورسب ثقله، أي: خثارته، ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ١٥٤/٢٨.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ٥٨ / ٢.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ٥٨ / ٢.

(٤) ينظر : طبقات الشافعية الكبرى ٣١٩/٦.

: «إنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال : اسقني، لأتبرك بأكفّ المسلمين»^(١)، وهذه أيضاً ذكرها بدون سند.

وأصل حديث شرب النبي ﷺ من ماء زمزم في حجة الوداع في صحيح البخاري دون زيادة التبرك بآثار وضوء المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس : «يا فضل اذهب إلى أمك فائت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال : اسقني، قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال : اسقني، فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال : اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه - يعني عاتقه - وأشار إلى عاتقه»^(٢).

وما خرج عن صحيح البخاري ومسلم من الروايات والأحاديث وهو أصل في بابه فلا بد من التفتيش عن علته، وسبر غور صحته، كما قال أبو عبد الله الحاكم : «فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابي الإمامين البخاري ومسلم، لزم صاحب الحديث التنقيح عن علته ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علة»^(٣).

وقال ابن رجب : «فقلّ حديث تركاه إلا وله علة خفية، لكن لعزة من يعرف العلل كمعرفتهما وينقده، وكونه لا يتهياً الواحد منهم إلا في الأعصار

(١) القرئ لقاصد أم القرئ ص ٤٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب سقاية الحاج، رقم الحديث (١٥٥٤).

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص: ١٠٨.

المتباعدة، صار الأمر في ذلك إلى الاعتماد على كتابيهما، والثوق بهما والرجوع إليهما»^(١).

وهذا الأثر - حديث تبرُّك النبي ﷺ بمطاهر المسلمين - من هذا القبيل، فإنه أصل في بابه، والعجيب أنه جاء مخالفاً للأصول من التبرُّك بالنبي ﷺ بذاته وأثره.

ثانياً : ما أخرجه ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية وساق سنده إلى محمد بن إسحاق العكاشي، قال : أنا الأوزاعي، عن مكحول، والقاسم بن مخيمرة، وعبد بن أبي لبابة، وحسان بن عطية، جميعاً أنهم سمعوا أبا أمامة وعبد الله بن بشر وجماعة من أصحاب النبي ﷺ يقولون : سمعنا النبي ﷺ يقول : «الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء، أدناه الهُم».

قال ابن الجوزي : «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال يحيى بن معين : العكاشي كذاب، وقال ابن عدي : يروي عن الأوزاعي أحاديث مناكير موضوعة»^(٢).

فهذا الأثر جاء من طريق وضّاع، وهو محمد بن اسحاق العكاشي، قال فيه أبو زرعة : «كان كذاباً»، وقال الدراقطني : «يضع الحديث»^(٣).

(١) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة، ص: ٢٤.

(٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٣٥٤/١، وأخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، ص: ١٥٤.

(٣) الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٨٦/٣.

وقال فيه ابن حبان : «محمد بن إسحاق العكاشي الغنوي من ولد عكاشة بن محصن، سكن الشام، يروي عن الأوزاعي، والزبيدي، وإبراهيم بن أبي عبلة، ومكحول، روى عنه أهل الشام، كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه، إلا على جهة التعجب عند أهل الصناعة»^(١).

وقال الذهبي فيه : «كذاب»^(٢).

ومن أجل ذلك حكم الشيخ الألباني على هذا الأثر أنه موضوع^(٣).
وإنما ذكرت هذا الأثر للعلم به فحسب، ولإيراد كل ما جاء في معنى تبرك النبي ﷺ بآثار المسلمين مما استطعت جمعه.



(١) المجروحين لابن حبان ٢/٢٨٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/٦٥٠.

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٨/٢٣٢.

الفصل الثاني :

دراسة موضوع الحديث

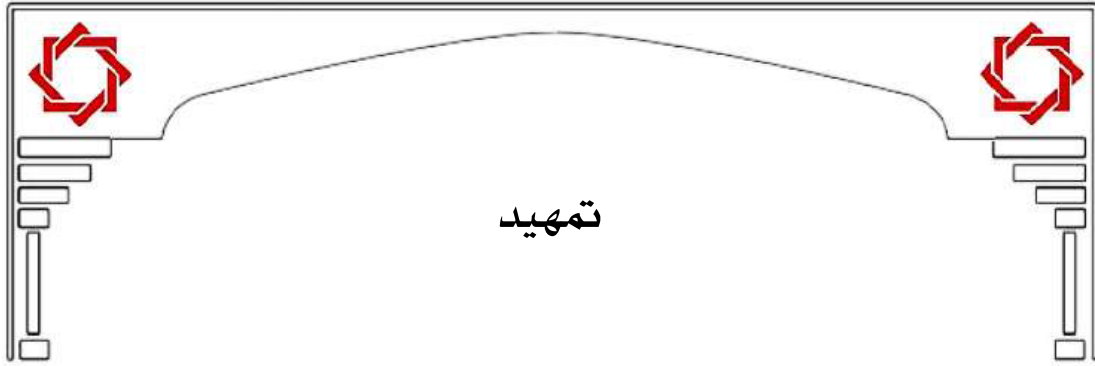
وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث :

تمهيد :

المبحث الأول : بيان الأصل الشرعي في التبرك بالأشخاص

المبحث الثاني : حكم التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً

المبحث الثالث : آثار التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً



تمهيد

أخذ بمفهوم هذا حديث تبرُّك النبي ﷺ بمطاهر المسلمين بعض الشراح، فقال الصنعاني : «فيشر به يرجو بشره منه نيل بركة أيدي المسلمين، وفيه تشريف للمسلمين عجيب، وتعظيم عظيم، وفيه أنه لا يتقذر ماءً استعمله المسلمون في طاعة، بل يتبرك به»^(١).

وقال المناوي : «وكان يفعل ذلك يرجو بركة أيدي المسلمين، أي : يؤمل حصول بركة أيدي الذين تطهروا من ذلك الماء، وهذا فضل عظيم وفخر جسيم للمتطهرين، فيا له من شرف ما أعظمه، كيف وقد نص الله في التنزيل على محبتهم صريحاً حيث قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، وهذا يحمل من له أدنى عقل على المحافظة على إدامة الوضوء»^(٢).

وبما تقدم أثبت بعض شراح الحديث أن النبي ﷺ كان يلتمس البركة بآثار وضوء المسلمين من المطاهر، بناء على صحة الحديث عندهم، وكذلك ذكره بعض من كتب في السيرة النبوية، وذهب إلى أن النبي ﷺ يتبرك بأثر وضوء

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٨ / ٥٢٩).

(٢) فيض القدير ١٩٩/٥.

المسلمين^(١).

وكذلك أخذ بمفهوم الحديث بعض المعاصرين، وأجاز التبرُّك بذوات الصالحين وآثارهم، استدلالاً بهذا الحديث، مع أن ذلك الأثر جاء بالتبرُّك بآثار المسلمين عمومًا، ولم يُخصَّص بالصالحين، فتخصيصه بالصالحين تحكُّم^(٢). ومخالفة متن هذا الحديث لأصول عقيدة أهل السنة والجماعة في باب التبرُّك ظاهرة لكل من تأمل في الأحاديث المستفيضة، من أن التبرُّك مشروع بالنبي ﷺ في ذاته وآثاره، لا أن النبي ﷺ يطلب البركة من غيره، لأن التبرُّك المشروع هو أن تُطلب البركة من حيث جعلها الله ﷻ، لا أن تُطلب ممن لم يُجعل فيه، أو تُطلب من سبب لم يأذن فيه الشرع، وتبرُّك النبي ﷺ بغيره من المسلمين لم يأذن به الشرع، وهذا يتضح بالمباحث التالية :

(١) ينظر على سبيل المثال : الشمائل الشريفة للسيوطي، ص: ٢٧٣، وجمع الوسائل في شرح الشمائل

٢٤٨/١، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٢١/٧.

(٢) منهم الدكتور علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، ينظر رابط المقال : [WWW. https://www.draligomaa.com/index](https://www.draligomaa.com/index)

المبحث الأوّل :

بيان الأصل الشرعي في التبرك بالأشخاص

❁ وفيه مطلبان :

المطلب الأوّل : التبرك بذات النبي ﷺ وأثره في حياته.

من خصائص رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ مشروعية التبرك بذاته وبآثاره، وقد انعقد إجماع الصحابة على ذلك^(١)، لما جعل الله ﷻ فيه من البركة الحسية والمعنوية، ولكونه ﷺ مباركاً، فقد جاء الشرع بمشروعية التبرك به، بذاته، وفعله، وأثره، للسنّة القولية والفعلية والتقريبية^(٢).

والتبرك بالنبي ﷺ وبأثره شيء خاص به، لا يتعداه إلى غيره من العلماء والصالحين أو عموم المسلمين، لأمر، منها :

أوّلاً : أنّ التبرك بالنبي ﷺ خاص به كسائر خصوصياته التي لا يلحقه فيها أحد، لما بينه وبين غيره من البوّن الشاسع، فالنبي ﷺ مبارك الذات ومبارك الصفات ومبارك الأفعال.

ثانياً : أنّ التبرك بالأشخاص توقيفي، لا يشرع إلا بدليل صحيح صريح.

(١) ينظر : الاعتصام للشاطبي ٢ / ٨.

(٢) ينظر : الجامع في الخصائص لموسى بن راشد العازمي، ص ٢٩٢.

ثالثًا : أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه الذي هو أفضل الأمة بعد النبي ﷺ، لم يرد أن الصحابة فعلوا معه ما فعلوه مع النبي ﷺ من التبرُّك به، فدلَّ على أنه لا يجوز أن يُتبرَّك ببشر بعد النبي ﷺ.

رابعًا : أن التبرُّك بغيره ﷺ من الغلو الذي هو وسيلة الشرك، كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

خامسًا : أنه فتنة لمن تُبرَّك به، وطريق إلى تعظيمه نفسه، حاشا النبي ﷺ (١).

والذي يدل على أن التبرُّك بالبشر لا يكون إلا بالنبي ﷺ فحسب، ما جاء في السنة من استفاضة ذلك على وجوه متنوعة، وظهوره ظهورًا لا تشوبه شائبة شك، وقد فهم ذلك الصحابة رضي الله عنهم، فلم يعدوه إلى غير النبي ﷺ، وفيما يلي عرض موجز في كون التبرُّك لا يكون إلا بالنبي ﷺ، من واقع السنة الفعلية والقولية والتقريرية.

❁ وبركات النبي ﷺ نوعان :

الأوَّل : بركات معنوية.

وهي ما يكون من بركات رسالته على اتباعه في الدنيا والآخرة، من الخيرات والبركات والفضل وحسن العاقبة، بما لا يكون في غير رسالته، «فبركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له من بركة الرسول ﷺ بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه

(١) ينظر : تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ص: ٣٥٩، وكتاب هذه مفاهيمنا، ص: ٢٠٦.

إِلَّا اللَّهَ»^(١)، لَأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ فِي تَوْصِيفِ رِسَالَتِهِ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١٠٧) [الأنبياء: ١٠٧].

الثاني : بركات حسية، ولها قسمان :

أوّلاً: بركة في أفعاله ﷺ، مما أكرمه الله ﷻ به من خوارق العادات والبراهين الحسية التي تشهد على رسالته، وجاء في دواوين السنة أمثلة كثيرة على ذلك، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي^(٢):

تكثر الماء ونبعه من بين أصابع النبي ﷺ، كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : «قد رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأُتي النبي ﷺ به فأدخل يده فيه وفرج أصابعه، ثم قال : «حيّ على أهل الوضوء، البركة من الله»، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلوا ما جعلت في

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١١ / ١١٢.

(٢) استفدت هذا التقسيم من كتاب التبرك أنواعه وأحكامه، ص ٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة وقالت عائشة : «حضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزل التيمم»، رقم الحديث (١٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٢٧٩).

بطني منه، فعلمت أنه بركة»^(١).

ونبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ يدل دلالة ظاهرة على ما جعل الله ﷻ فيه من البركة الحسية، تأييداً لرسالته، وبرهاناً على نبوته، دون غيره من البشر. وكذلك البركة في الطعام الذي برك فيه ﷺ وبصق، كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال : «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصًا شديدًا^(٢) فانكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء، فإني رأيت برسول الله ﷻ خَمْصًا شديدًا، فأخرجت إليَّ جرابًا^(٣) فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن^(٤) فذبحتها، وطحنْتُ الشعير ففرغت إلى فراغي^(٥)، وقطعتها في برمتها، ثم ولّيت إلى رسول الله ﷻ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷻ وبمن معه، فجئته فساررت، فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال : «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا^(٦)،

(١) تقدم تخريجه، (ص ٣٩٩).

(٢) أي : ضمورًا في بطنه من الجوع، ويعبر بالخمص عن الجوع، ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/٢٤١.

(٣) الجراب وعاء من جلد، ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ٢/١٤٩.

(٤) الداجن هي التي تترك في البيت ولا تُفقت للمرعى، ينظر : فتح الباري ٧/٣٩٧.

(٥) أي : انتهت من طحن الشعير في الوقت الذي انتهى فيه من ذبح الداجن، ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/٣٧٨٤.

(٦) أي : اتخذ طعامًا لدعوة الناس، ينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ٥/٤٣٢.

فحيّ هلاً بكم»، فقال رسول الله ﷺ : « لا تنزلن برمتكم (١)، ولا تحبزن عجينكم حتى أجيء»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت : بك وبك، فقلت : قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينة فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي (٢) من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو (٣).

وهذا يدل على أنّ النبي ﷺ يُتبرك به، بدعائه، وبما انفصل منه، مثل البصاق على الطعام الذي كان سبباً لتكثيره، حتى أشبع الطعام القليل الذي يكفي العدد القليل، أهل الخندق كلهم، والعجيب أن الطعام بقي كما هو لم ينقص منه شيء.

وقد دعا النبي ﷺ أهل الخندق كلهم مع علمه بقلّة الطعام، لما علم من بركة الله ﷻ التي جعلها على يديه وبسببه ﷺ، وهل هذا إلا خصيصة للنبي ﷺ دون غيره (٤).

وكذلك من بركات النبي ﷺ الحسية شفاء ذوي العاهات والمرضى على

(١) البرمة : القدر المتخذ من الحجر، ينظر : لسان العرب ١٢ / ٤٣.

(٢) أي : أغربي، والمقدحة المغرفة، ينظر : فتح الباري ٧ / ٣٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث (٤١٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحقّقاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام، رقم الحديث (٢٠٣٩).

(٤) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦ / ٥١٦.

يديه، وبركة دعائه، كما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، قال : فبات الناس يدوكون^(١) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال : أين علي بن أبي طالب، فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله، قال : فأرسلوا إليه، فأتوني به، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

وأما البركة في إجابة دعوته ﷺ فشواهد ذلك كثيرة من سيرته ﷺ، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم ذلك من النبي ﷺ، وكانوا يتحرّون الإجابة من دعائه، فمن شواهد ذلك ما جاء عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا^(٣) فأكلنا وادّهنّا، فقال رسول الله ﷺ : «افعلوا»، قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم عليها بالبركة لعلّ

(١) أي : يخوضون، والدَّوْكَة : الاختلاط والخوض، ينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ٣ / ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، رقم الحديث (٣٧٠١).

(٣) النواضح هي الأبل التي يُسقى عليها، سميت نواضح، لنضحها الماء، أي : صبّها، ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣ / ٢٥٤.

الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ : «نعم»، قال : فدعا ينطع^(١) فبسطه ودعا بفضل أزوادهم، قال : فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال : ويجيء الآخر بكف تمر، قال : ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، وقال : «خذوا في أوعيتكم»، قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(٢).

ثانيًا : بركة في ذاته، وآثاره الحسية المنفصلة عنه ﷺ.

من التبرك بالنبي ﷺ التبرك بذاته، وذلك بشيء من جسده الشريف، كيديه الشريفتين، فقد كان الصحابة يتبركون بيديه، فمن ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فرمها جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»^(٣).

فقد كان الصحابة يفعلون ذلك تبرُّكًا بما لمسه، وأدخل يده فيه^(٤)، بل

(١) النطع : بساط من الجلد، ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٨١١/٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم الحديث (٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم الحديث : (٢٣٢٤).

(٤) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٨٦/٧.

يتبركون بيديه بمسحها على وجوههم، كما جاء أيضا عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال : فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك»^(١).

ومن التبرك بالنبي ﷺ التبرك بما انفصل منه جسده، وذلك مثل التبرك بشعره، ومن مشروعية ذلك أنّ النبي ﷺ كان يأمر بقسمة شعره إذا حلّقه بين الناس، ليتبركوا به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمئى ونحر، ثم قال للحلاق : خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس»^(٢).

وهذا يدل على مشروعية التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه^(٣).

وكذلك التبرك بريقه ﷺ، فقد كان المولود يبعث به إلى النبي ﷺ ليحنكه بتمرة يمضغها النبي ﷺ ليخالطها ريقه، فعن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت : «فخرجت وأنا متم»^(٤) فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٥٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، رقم الحديث (١٣٠٥).

(٣) ينظر : فتح الباري لابن حجر ٢٧٤/١.

(٤) المتّم : يقال للمرأة الحامل إذا حان وضع حملها، ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٤/٧.

فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام» (١).

ومن التبرك بريق النبي ﷺ مما هو أعجب مما تقدم، وهو ما جاء في صلح الحديبية حين رأى عروة بن مسعود الثقفي كيف يصنع الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ من الإجلال والتعظيم اللائق بمقام النبوة والرسالة، فهاله ما رأى فوصف ذلك لزعماء قريش فقال : «لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له» (٢).

ومن التبرك بالنبي ﷺ التبرك بعرقه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها وليست فيه، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيت فقليل لها : هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدها (٣) فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث (٢٧٣١).

(٣) هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها، ينظر: شرح النووي على مسلم ٨٧/١٥.

: «ما تصنعين يا أم سليم»، فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال : «أصبت» (١).

وهذا فيه «التبرك بكل ما كان من النبي ﷺ» (٢)، ولذلك لما حضرت أنس بن مالك رضي الله عنه الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك العرق الذي جمعته أمّه أم سليم، فجعل في حنوطه (٣).

ومن التبرك بآثاره ﷺ الحسية التبرك بما لبسه، كالتبرك بالثوب الذي لبسه ومسّ جسده الشريف، ومن ذلك ما جاء عن سهل رضي الله عنه، ذكر «أنّ امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا : الشملة، قال : نعم، قالت : نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسّنها فلان، فقال : اكسنيها ما أحسنها، قال القوم : ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته، وعلمت أنه لا يردّ، قال : إني والله ما سألته لألبسه، إنما سألته لتكون كفي، قال سهل : فكانت كفنه» (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، رقم الحديث (٢٣٣١).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٧ / ٢٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم، رقم الحديث (٦٢٨١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه، رقم الحديث (١٢٧٧).

وهذا يدل على بركة ما لبسه النبي ﷺ مما يلي جسده، حتى علم ذلك الصحابة علمًا يقينيًا، من أجله سأل الصحابي النبي ﷺ أن يهب له تلك البردة ليذّخرها لتكون كفنه تبرّكًا بها، كما حرص أنس بن مالك أن يجعل في حنوطه شيء مما أخذته أم سليم من عرق النبي ﷺ كما تقدم (١).

وجاء ذلك صريحًا من فعل النبي ﷺ لما توفيت ابنته رقية، جعل من كفنها إزاره، فعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال : «اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فأذني»، فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوه، فقال : «أشعرنها إياه»، يعني : إزاره (٢).

والمراد أن النبي ﷺ أعطاهم إزاره ليكون شعارًا لها، والشعار هو اللباس الذي يلي الجسد، سمي شعارًا لأنه يلي شعر الجسد (٣)، و«قيل : الحكمة في تأخير الإزار معه إلى أن يفرغن من الغسل ولم يناولهن إياه أولًا، ليكون قريب العهد من جسده الكريم حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التبرك» (٤).

ومن التبرك بآثار النبي ﷺ الحسية التبرك بالطعام الذي مسّته أصابع النبي

(١) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦٣ / ٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، رقم الحديث (١٢٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، رقم الحديث (٩٣٩).

(٣) ينظر : المعلم بفوائد مسلم ٤٨٦ / ١.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١٢٩ / ٣.

ﷺ، كما كان أبو أيوب الأنصاري يصنع، فعنه ﷺ : «أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺ في السفلى، وأبو أيوب في العلو، قال : فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنحّوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : السفلى أرفق، فقال : لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحوّل النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفلى، فكان يصنع للنبي ﷺ طعامًا فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعامًا فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقليل له : لم يأكل، ففزع وصعد إليه، فقال : أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ : لا، ولكني أكرهه، قال : فأني أكره ما تكره أو ما كرهت، قال : وكان النبي ﷺ يؤتى» (١).

وكذلك التبرك بفضل شرابه ﷺ وما بقي منه، فعن سهل بن سعد الساعدي رحمه الله : «أن رسول الله ﷺ أتى بشارب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء، فقال الغلام : لا والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبي منك أحدًا، قال : فتلّه رسول الله ﷺ في يده» (٢).

وأيضًا التبرك والتمسك بفضل الماء الذي مجّ فيه ﷺ وغسل به شيئًا من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه، رقم الحديث (٢٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة الواحد للجماعة، رقم الحديث (٢٦٠٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، رقم الحديث (٢٠٣٠).

جسده، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : ألا تنجز لي ما وعدتني، فقال له : أبشر، فقال : قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل عليّ أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال : إن هذا ردّ البشري فاقبلا أنتما، قالا : قبلنا، ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه، ثم قال : اشربا منه وأفرغا عليّ وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذ القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة»^(١).

ومثله أيضاً التبرك بالماء الذي توضع به صلى الله عليه وسلم، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على ذلك حرصاً ظاهراً، وأيضاً كان النبي صلى الله عليه وسلم يسنّ لهم من فعله مشروعية التبرك بفضلة وضوئه، فكان يعطيهم ما يفضل من ماء وضوئه، وأحياناً يتوضأ ويصبّ على المريض منه، ليكون سبب شفاؤه، وهذا مطرد على أصل التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأذكر من ذلك مثالين :

فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : «أتيت صلى الله عليه وسلم وهو في قبة حمراء من آدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم والناس يتدرون الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسّح به، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم الحديث (٤٣٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهم، رقم الحديث (٢٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الصلاة في الثوب الأحمر، رقم الحديث (٣٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب سترة المصلّي، رقم الحديث (٥٠٣).

وعن محمد بن المنكدر قال سمعت جابرًا رضي الله عنه يقول : « جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصبّ عليّ من وضوئه فعقلت، فقلت : يا رسول الله لمن الميراث، إنما يرثني كلاله، فنزلت آية الفرائض» (١).

وعلى ما تقدم من تلك الأمثلة المختارة - وغيرها كثير يطول استقصاؤه - يتبين أن الأصل في التبرك بأحد من البشر لا يكون إلا بالنبي ﷺ دون ما سواه، وأن ذلك من خصائصه.

المطلب الثاني : تبرك الصحابة بأثر النبي ﷺ بعد وفاته.

وعلى ما تقدم من مشروعية التبرك بالنبي ﷺ، فقد استصحب الصحابة ﷺ هذا الحكم حتى بعد وفاة النبي ﷺ، مما بقي من آثاره، كلباسه وآنيته وشعره ونحو ذلك، وكذلك التابعون من بعد الصحابة، ما دام الأثر النبوي باقياً، ولذلك بوب البخاري في كتاب فرض الخمس من صحيحه : «باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته، مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته».

وأذكر من ذلك نماذج يتضح بها فهم الصحابة للتبرك بالنبي ﷺ دون غيره من البشر، مهما علت رتبته، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها كان عندها جبة رسول الله ﷺ، وقالت : «هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضتُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب النبي ﷺ وضوؤه على المغنم عليه، رقم الحديث (١٩٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله، رقم الحديث (١٦١٦).

قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها»^(١)، «لما في ذلك من بركة ما لبسه النبي ﷺ أو لمسه، وقد جرت عادة السلف والخلف بالتبرك بذلك منه ﷺ»^(٢).

وعن ابن سيرين قال قلت لعبيدة : «عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس، أو من قبل أهل أنس، فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها»^(٣).

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : «أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ بقدر من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين، أو شيء بعث إليها مخضبه، فاطلعت في الجُلجل^(٤) فرأيت شعرات حمراء»^(٥).

«وبيان ذلك على التحرير أنّ أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، رقم الحديث (٢٠٦٩).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٨٢/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، رقم الحديث (١٧٠).

(٤) الجُلجل : ما عمل من فضة أو نحاس مستديرًا فارغ الجوف، تجعل حصاة أو ما يشبهها فإذا حركت صوّتت، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص: ٢٧٢.

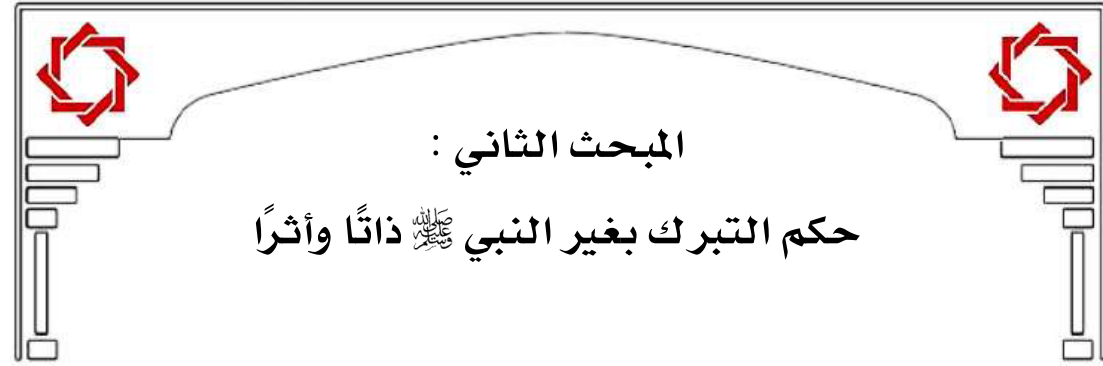
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، رقم الحديث (٥٨٩٦).

ﷺ حُمِّرَ في شيءٍ مثل الجلجل، وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها ويستشفون من بركتها، يأخذون من شعره ويجعلونه في قدح من الماء فيشربون الماء الذي فيه الشعر فيحصل لهم الشفاء» (١).

وحصر ما جاء في هذا يطول به البحث، ولكن ذكرت نماذج يظهر بها أنه لم يكن أحد من الناس يُتبرَّك به دون النبي ﷺ من زمن الصحابة فمن بعدهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان، وأنَّ التبرُّك بأحد من البشر محصور بالتبرُّك بالنبي ﷺ فحسب، وأن هذا من المسلمات العقدية التي هي أظهر من أن تُبَيَّن، فما خالف هذا الأصل كان باطلاً.



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٩/٢٢.



المبحث الثاني :

حكم التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً

مما تقدم نعلم يقيناً أنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بأحد من الناس سوى النبي ﷺ، وأنهم علموا أن التبرك بأحد من البشر خاص بالنبي ﷺ، ولو كان التبرك بغير النبي ﷺ مشروعاً لعلموا ذلك، ولُنقل لنا عملهم به، كما نُقل تبرُّكهم بالنبي ﷺ، وهذا كله مما يبين نكارة متن حديث أن النبي ﷺ يتبرك بشرب الماء من مطاهر المسلمين، وهذه الأحاديث والوقائع المستفيضة من تبرك الصحابة بالنبي ﷺ فحسب، تبين أن حديث تبرك النبي ﷺ بشرب الماء من مطاهر المسلمين منكر، لا يلتقي أبداً مع كل ما نُقل من أحاديث التبرُّك.

ولهذا حكى الشاطبي إجماع الصحابة على أن التبرُّك بالأشخاص لا يكون إلا بالنبي ﷺ، فذكر أن الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ «لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته ولم يُفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به ...، بل اقتصرُوا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال

والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء» (١). وهل يكون إجماع الصحابة مخالفاً لحديث عن النبي ﷺ؟! اللهم إلا أن يكون منكراً خطأ، أو مكذوباً موضوعاً لا أصل له، فدل إجماع الصحابة على نكارة ذلك الحديث، وكفى بإجماع خير القرون حجة.

وزاد ابن رجب ذلك إيضاحاً بقوله: «وكذلك التبرُّك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض، ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم.

فدل على أن هذا لا يُفعل إلا مع النبي ﷺ، مثل التبرُّك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه» (٢).

والذي يوضح هذا ويبينه أن البركة التي جعلها الله ﷻ في الأشخاص نوعان :

الأوّل : بركة ذاتية في الأجسام، يحصل التبرُّك بأعيانها لما فيها من البركة اللازمة الدائمة بالذات، والمتعدية لمن تبرَّك بها، وهذا النوع لا يكون إلا للأنبياء والرسل فقط، فالله ﷻ جعل ذوات الرسل والأنبياء مباركة بركة متعدية نفعها، وأما غيرهم فلم يرد دليل على ذلك.

ولأجل البركة الذاتية في النبي ﷺ جاء ما تقدم من تبرُّك الصحابة بالنبي ﷺ، وهذا النوع انقطع بموت النبي ﷺ، إلا ما كان من آثاره باقياً بعد موته، وقد ذهب المتيقّن منه مع انقراض عصر الصحابة ﷺ.

(١) الاعتصام ٢ / ٨.

(٢) الحِكَم الجديدة بالإذاعة من قول النبي ﷺ : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة»، ص: ٥٥.

الثاني : بركة عمل واتباع، وهي عامة لكل مَنْ وافق عمله ما جاء في الكتاب والسنة، فكل مسلم فيه بركة بقدر صلاح عمله وموافقته لأمر الله ﷻ فعلاً وتركاً، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذا أتى جُمَّار (١) نخلة، فقال النبي ﷺ : « إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لِمَا بَرَكَتُهُ كَبْرُكَةُ الْمُسْلِمِ » ... الحديث (٢)، فالمسلم فيه بركة بقدر اتباعه للهدي النبوي (٣).

وبهذا نعلم أن ما نسب إلى النبي ﷺ أنه يتبرك بماء مطاهر المسلمين، يخالف هذا الأصل، فليس في المسلمين بركة ذاتية تنتقل للمتبرك كالتي للأنبياء والرسل، ولكنها بركة عمل راجعة إلى الإيمان والعمل الصالح. ثم يُقال ليست كلُّ أيدي المسلمين ذات بركة، وظاهر الحديث يقتضي التبرُّك بيد كل مسلم (٤).

ولو قيل بظاهر الحديث أن كل مسلم يُتبرَّك به لانفتح باب من أشد وسائل الشرك يصعب غلقه، إذ كل أحد يُتبرَّك به، وهذا لم يقل به أحد، حتى من أجاز التبرُّك بالأشخاص غير النبي ﷺ قَصَرَهُ على الصالحين، قياساً على ما

(١) الجُمَّار : هو الذي يؤكل من قلب النخل يكون لَيْئاً، ينظر : شرح النووي على مسلم ١٧/١٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، رقم الحديث (٥٤٤٤).

(٣) ينظر : كتاب هذه مفاهيمنا لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ، ص: ٢٠٣، والتمهيد شرح كتاب التوحيد، ص ١٢٥.

(٤) المقالات للشيخ عبد الرحمن البراك، عناية : د / عبد المحسن العسكر ٢/٢٤٨، تحت الطبع.

جاء من تبرُّك الصحابة بالنبي ﷺ، كما ذهب إلى ذلك النووي، وابن حجر (١) وهذا لا يستقيم لما تقدم من كون بركة النبي ﷺ ذاتية، وبركة غيره من الصالحين إنما هي بركة عمل واتباع.

وأما ما جاء عن بعض التابعين من مثل ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، قال : حدثنا سفيان، عن ابن جدعان، قال : قال ثابت لأنس : «يا أنس مسست يد رسول الله ﷺ بيدك؟ قال : نعم، قال : أرني أقبّلها» (٢).

وهذا على القول بصحة الحديث فليس من باب التبرُّك، بل من باب الإكرام والتبجيل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية مقررًا ذلك بقوله : «فأما تقبيل اليد فلم يكونوا يعتادونه إلا قليلاً، ولما قدموا عليه ﷺ عام مؤتة قبلوا يده، وقالوا : نحن الفرارون، قال : بل أنتم العكارون (٣)، وقبّل أبو عبيدة يد عمر، ورخص أكثر الفقهاء أحمد وغيره لمن فعل ذلك على وجه التدين، لا على وجه التعظيم للدنيا، وكره ذلك آخرون كمالك وغيره، وقال سليمان بن حرب : «هي السجدة الصغرى» (٤).

فليس تقبيل اليد من قبيل التبرُّك بالشخص، وإنما ذكرت هذا استقصاء

(١) ينظر : شرح النووي على مسلم ١٦١/٥، فتح الباري لابن حجر ٥٢٢/١.

(٢) مسند أحمد ١٤٦/١٩، رقم الحديث (١٢٠٩٤)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط : «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان».

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٨١/٩، رقم الحديث (٥٣٨٤)، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط : «إسناده ضعيف».

(٤) المستدرک علی مجموع الفتاوى ١ / ٢٩.

لمسألة التبرك بالأشخاص، وأنّ السلف لم ينقل عن واحد منهم أنه تبرك بأحد سوى النبي ﷺ، أو فعل ما يدل على طلب البركة من أي شخص.



المبحث الثالث :

آثار التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً

من أعظم آثار التبرُّك بالأشخاص هو الغلو في الصالحين، ومجاوزتهم قدرهم من البشرية إلى ما هو من خصائص الربوبية والألوهية، الذي هو أحد أهم أسباب الشرك الأصغر والأكبر.

ولذلك كان التبرُّك بأحد من البشر مقصوراً على النبي ﷺ، لانتفاء هذه الذريعة في حقه، ومن هذا الباب كان سدُّ هذه الذريعة بمنع التبرُّك بأحد من البشر - سوى النبي ﷺ - موافقاً لأصول الشريعة على حفظ جناب التوحيد، وسد كل طريق يفضي إلى نقضه أو نقصه، «كما أن الشرك أول ما نشأ في قوم نوح عليه السلام هو بسبب التبرُّك بالصالحين، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى» (١).

ولذلك مُنع التبرك بالبشر، «لأنَّ العامة لا تقتصر في ذلك على حدٍّ، بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ بجهلها في التماس البركة حتى يداخلها في المتبرِّك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرِّك به ما ليس فيه، وهذا التبرُّك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ، بل

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٤/٣٥٥.

هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية - حسبما ذكره أهل السير - فخاف عمر رضي الله عنه أن يتمادى الحال في الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله، فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم.

ولقد حكى الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري عن الحلاج أن أصحابه بالغوا في التبرّك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبحّرون بعذرتة، حتى ادّعوا فيه الإلهية - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - (١).

وكما تقدّم أنّ البركة الذاتية للأشخاص لا تكون إلا لمن اصطفاهم الله تعالى بالنبوة والرسالة، وهم معصومون مما يُخشى تبعته مما يقدح في التوحيد، وغيرهم لا تتحقق فيه تلك العصمة، فضلاً عما يكون في التبرّك بالأشخاص الممنوع من فتنة للمتبرّك في توحيده وتعظيمه لله تعالى، ومن فتنة للمتبرّك به، من الإعجاب والتعظيم بنفسه.

والتبرّك الممنوع بالأشخاص ينقسم من حيث حكمه إلى نوعين :
تبرّك شركي : وهو الذي يعتقد فيه المتبرّك أن من يتبرّك به يهب البركة بنفسه استقلالاً، لأنّ البركة من الله تعالى، فاعتقاد أن غير الله تعالى يهبها، شرك أكبر.

تبرّك بدعي : وهو أن يتبرّك الشخص بشيء لم يرد دليل على مشروعية التبرّك به، مع اعتقاد أن واهب البركة هو الله تعالى (٢).
ويتفرّع عن التبرّك بالذات التبرّك بالأثر، والتبرّك بالأثر لا يقلّ خطورة عن

(١) الاعتصام ٩/٢.

(٢) ينظر : شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، ص: ٣٣٥.

التبرُّك بالذات، بل ربما كان التوسع فيه أكثر من التبرُّك بذوات الأشخاص، وذلك يكون في التبرُّك بآثار الصالحين، كالتبرُّك بملابسهم ومقتنياتهم ونحو ذلك، ومن عجيب ما يُذكر في هذا الباب أنه كان في بعض بلدان المسلمين شيخ متصوف يرقص مع أصحابه ويضرب بالدفوف حتى يخترَّ أتباعه صرعى على الأرض، ويعتقدون أنَّ الدف الذي كان يضرب به الشيخ نزل من الجنة، وكان الشيخ ومريدوه منقطعين للعبادة، ولا يعملون لمعيشتهم، لأنهم كانوا بزعمهم متوكلين، وكان للشيخ المذكور حمار يطوف على بيوت البلد وحده كل صباح ومساءً، وعليه وعاء لحمل المتاع، فكلما وقف بباب بيت يضع أهله شيئاً من الطعام في ذلك الوعاء، فيرجع إلى الشيخ والمريدين بطعام كثير غدوة وعشية، فلما مات الشيخ وتفرَّق المريدون بقي الحمار بلا عملٍ، فصار الناس يقدمون له العلف ويتبرَّكون به إلى أن مات فدفنوه وعكفوا على قبره يعبدونه! (١).



(١) قصة ذكرها الشيخ محمد تقي الدين الهالبي في كتابة الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، ص: ٢١.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث الموجز أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهذه أهم النتائج :

- ١- أنّ العقائد لا تنبئ إلا على الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.
- ٢- أنّ الحديث الذي أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم أن رسول الله ﷺ كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين منكر لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ، لنكارة الحديث إسنادًا ومتنًا.
- ٣- أنّ كل أثر أو حديث - فيما وقفت عليه - فيه طلب البركة من بشر غير النبي ﷺ، لا يثبت.
- ٤- أنّ التبرك بالأشخاص لا يكون إلا للأنبياء والرسل ﷺ، لأنّ بركتهم ذاتية، وأما غيرهم من صالحى الأمم فلا يُتبرك بذواتهم.
- ٥- أنّ رسول الله محمد ﷺ مبارك في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو ﷺ يُتبرك به، ولا يُتبرك هو بأحد من البشر.
- ٦- أنّ الصحابة لم يتبركوا بأحد من البشر سوى النبي ﷺ ذاتًا وأثرًا، وقد استفاد ذلك عنهم.
- ٧- أنّ التبرك بغير من جعل الله ﷻ فيهم بركة ذاتية، وسيلة من وسائل

الغلو في الصالحين المؤدي إلى الشرك الأكبر والأصغر.

والحمد لله رب العالمين



فهرس المصادر والمراجع

- ١- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : المؤلف : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، المحقق : رشدي الصالح ملحس، الناشر : دار الأندلس للنشر، بيروت.
- ٢- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها على بدع العبادات : المؤلف : رامز خالد حاج حسن، الناشر : دار المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- ٣- إحياء علوم الدين : المؤلف : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- ٤- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال : المؤلف : مغلطاي بن قليج الحنفي، المحقق : عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٥- إكمال المعلم بفوائد مسلم : المؤلف : القاضي عياض، المحقق : الدكتور / يحيى إسماعيل، الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٦- الاعتصام : المؤلف : أبو إسحاق الشاطبي، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- ٧- الباعث على إنكار البدع والحوادث : المؤلف : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، تحقيق : مشهور

حسن سلمان، الناشر : دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : المؤلف : شمس الدين

أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المحقق : الدكتور / بشار عوّاد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس : المؤلف : محمد بن محمد بن

عبد الرزاق الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر : دار الهداية.

١٠- التبرك أنواعه وأحكامه : المؤلف : د / ناصر بن عبد الرحمن الجديع،

الناشر : مكتبة الرشد، الرياض.

١١- التبرك المشروع والتبرك الممنوع : المؤلف : د / علي بن نفيع

العلياني، الناشر : دار الوطن، ط ١، ١٤١١هـ.

١٢- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك : المؤلف : أبو حفص

عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين، تحقيق : محمد حسن

محمد حسن إسماعيل، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

١٤٢٤هـ.

١٣- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم : المؤلف : محمد

بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، تحقيق : الدكتور /

زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر : مكتبة السنة، مصر، ط ١،

١٤١٥هـ.

١٤- تقريب التهذيب : المؤلف : ابن حجر، تحقيق : خليل مأمون شيخا،

- الناشر : دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٤٢٢ هـ.
- ١٥- **التنوير شرح الجامع الصّغير** : المؤلف : محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، المحقق : د / محمّد إسحاق محمّد إبراهيم، الناشر : مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٣٢ هـ.
- ١٦- **تهذيب التهذيب** : المؤلف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر : دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- ١٧- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد** : المؤلف : الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، الناشر : دار التوحيد، ط ١، تاريخ النشر : ١٤٢٣ هـ.
- ١٨- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** : المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، عام النشر : ١٣٨٧ هـ.
- ١٩- **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام** : المؤلف : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، تحقيق : محمد صبحي حلاق، الناشر : مكتبة دار حراء، ط ٨، ١٤١٥ هـ.
- ٢٠- **الحكم الجديدة بالإذاعة من قول النبي ﷺ** : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» : المؤلف : ابن رجب الحنبلي، إشراف : زهير الشاويش، الناشر : المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- ٢١- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد

الله الأصهباني، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤،
١٤٠٥هـ.

٢٢- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام : المؤلف :

ابن القيم، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، الناشر
: دار العروبة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٢٣- جمع الوسائل في شرح الشمائل : المؤلف : علي بن سلطان الملا

الهروي القاري، الناشر : المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة
مصطفى البابي الحلبي وإخوته.

٢٤- الجامع في الخصائص : المؤلف : موسى بن راشد العازمي، الناشر :

دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٣٧ هـ.

٢٥- الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة : المؤلف : د / محمد تقي الدين

الهلالي، بدون ذكر معلومات النشر.

٢٦- الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة : المؤلف : ابن رجب

الحنبلي، الناشر : مركز المربي للاستشارات التعليمية والتربوية، ط١،
١٤٣٧ هـ.

٢٧- صحيح البخاري : المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر :

دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٨- صحيح مسلم : تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر : دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

٢٩- صحيح الجامع الصغير وزياداته : المؤلف : الشيخ محمد ناصر الدين

الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي.

٣٠- **طبقات الشافعية الكبرى** : المؤلف : عبد الوهاب بن علي السبكي،
تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، الناشر :
دار إحياء الكتب العربية.

٣١- **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام
نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد** : المؤلف : محمد بن يوسف
الصالح الشامي، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،
الشيخ علي محمد معوض، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت، ط ١،
١٤١٤هـ.

٣٢- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** : المؤلف
: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع، الرياض، ط ١.

٣٣- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** :
المؤلف : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر : دار المعارف،
الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

٣٤- **شعب الإيمان** : المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق
: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت،
ط ١، ١٤١٠هـ.

٣٥- **الشمائل الشريفة** : المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي، تحقيق : حسن بن عبيد باحبيشي، دار النشر : دار طائر

العلم للنشر والتوزيع.

٣٦- شرح تسهيل العقيدة الإسلامية : المؤلف : د / عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الناشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٦، ١٤٣٥هـ.

٣٧- الضعفاء والمتروكون : المؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المحقق : عبد الله القاضي، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري : المؤلف : أحمد بن علي بن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر : دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير : المؤلف : زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٤٠- الكامل في ضعفاء الرجال : المؤلف : عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق : يحيى مختار غزاوي، الناشر : دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٤١- الكليات : المؤلف : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية : المؤلف : جمال الدين أبو

- الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المحقق : إرشاد الحق الأثري،
الناشر : إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط ٢، ١٤٠١ هـ.
- ٤٣- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** : المؤلف : بدر الدين محمود
بن أحمد العيني، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٤- **لسان الميزان** : المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني، المحقق : دائرة المعارف النظامية، الهند، الناشر : مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩٠ هـ.
- ٤٥- **لسان العرب** : المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور، الناشر : دار
صادر، بيروت، ط ١.
- ٤٦- **مختار الصحاح** : المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،
تحقيق : محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،
١٤١٥ هـ.
- ٤٧- **المخصص** : المؤلف : علي بن إسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن
سيده، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، الناشر : دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ٤٨- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : المؤلف : أبو الحسن نور الدين علي
بن أبي بكر الهيثمي، المحقق : حسام الدين القدسي، الناشر : مكتبة
القدس، القاهرة، عام النشر ١٤١٤ هـ.
- ٤٩- **مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية** : جمع : الشيخ عبد الرحمن
القاسم وابنه محمد، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف.

- ٥٠- **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ** : أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر.
- ٥١- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** : المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، المحقق : محمود إبراهيم زايد، الناشر : دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.
- ٥٢- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** : المؤلف : علي بن سلطان الملا القاري، الناشر : دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٥٣- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام** : المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمعه ورتبه : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٥٤- **مشارك الأنوار على صحاح الآثار** : المؤلف : القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر : المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ٥٥- **مصنف عبد الرزاق** : المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ٥٦- **مطالع الأنوار على صحاح الآثار** : المؤلف : إبراهيم بن يوسف بن أدهم ابن قرقول، تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٣٣هـ.

- ٥٧- **المعجم الأوسط** : المؤلف : سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني،
المحقق : طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم
الحسيني، الناشر : دار الحرمين، القاهرة.
- ٥٨- **المقالات للشيخ عبد الرحمن البراك** : عناية : د / عبد المحسن بن
عبد العزيز العسكر، تحت الطبع.
- ٥٩- **معرفة علوم الحديث** : المؤلف : محمد بن عبد الله الحافظ
النيسابوري، دراسة وتحقيق : زهير شفيق الكبي، الناشر : دار إحياء
العلوم.
- ٦٠- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من
الأخبار** : المؤلف : الحافظ أبو الفضل زين الدين العراقي، اعتنى به
: أشرف عبد المقصود، الناشر : مكتبة دار طبرية، الرياض، ط ١،
١٤١٥هـ.
- ٦١- **مقاييس اللغة** : المؤلف : أحمد بن فارس، المحقق : عبد السلام محمد
هأرون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ.
- ٦٢- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي، الناشر : دار
المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٣٨٢هـ.
- ٦٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** : المؤلف : أبو زكريا محيي
الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

- ٦٤- **النهاية في غريب الحديث والأثر** : المؤلف : أبو السعادات ابن الأثير، أشرف عليه وقدم له : علي بن حسن الأثيري الحلبي، الناشر : دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٦٥- **هذه مفاهيمنا** : المؤلف : معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، توزيع ونشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.



فهرس الموضوعات

٣٩١	ملخص البحث.....
٣٩٢	مقدمة.....
٣٩٨	تمهيد : وفيه معنى التبرُّك.....
٤٠٠	الفصل الأوّل : نص الحديث وتخرّيجه، ودراسة أسانيده، وبيان معناه.....
٤٠١	المبحث الأوّل : نص الحديث وتخرّيجه ودراسة أسانيده.....
٤٠٧	المبحث الثاني : أحاديث أخرى في الباب، مع دراسة أسانيدها...٤١٣
٤١٣	الفصل الثاني : دراسة موضوع الحديث.....
٤١٤	تمهيد.....
٤١٦	المبحث الأوّل : بيان الأصل الشرعي في التبرك بالأشخاص.....
٤٣٢	المبحث الثاني : حكم التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً.....
٤٣٧	المبحث الثالث : آثار التبرك بغير النبي ﷺ ذاتاً وأثراً.....
٤٤٠	الخاتمة.....
٤٤٢	فهرس المصادر والمراجع.....
٤٥٢	فهرس الموضوعات.....



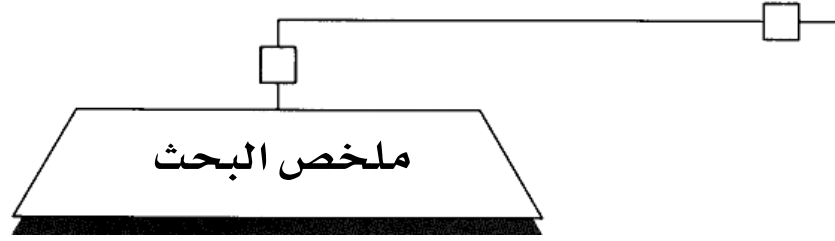
العفو الإلهي

- دراسة عقديّة -

نجلاء بنت عبد الله مليباري

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة بجامعة أمّ القرى





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد : فإنّ هذا البحث يهدف إلى دراسة موضوع «العفو الإلهي» عند أهل السنة والجماعة، من جهة أنّ العفو صفة من صفات الله ﷻ الاختيارية الثابتة في الكتاب والسنة، وما يتعلق بها من مسائل مهمّة في باب الوعد والوعيد، باعتباره مانعاً من موانع إيقاع العذاب عمّن يستحقه من الموحّدين.

وقد جعلتُ هذه الدراسة في مقدمة تضمّنت بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

ثم المدخل : وقد تناولت فيه بيان موانع إنفاذ الوعيد في ضوء الكتاب والسنة.

ثم المبحث الأول : وقد تضمّن بيان مفهوم العفو الإلهي وأدلته من الكتاب والسنة.

ويليه المبحث الثاني : وقد تضمّن موضوع العفو عن أصحاب المعاصي، ثم المبحث الثالث المتعلق بحكم العفو عن الكافر.

وختمت البحث بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج.

والله أسأله ﷻ أن ينفع بهذا البحث

نجلاء بنت عبد الله مليباري
najjo-10@hotmail.com



المقدمة

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد : فإنّ منهج أهل السنة والجماعة منهجٌ وسطيٌّ يقوم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ولما كان هذا المنهج قائماً على هذين الأصلين العظيمين جاءت قرارات أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد وغيرها مبنيّة على نصوص شرعيّة وفق منهجٍ وسطيٍّ دون غلوٍّ ولا جفاء.

ومن المسائل التي قرّرها أهل السنة والجماعة؛ مسائل الإيمان وهي من أصول مسائل الاعتقاد، فأصلّوها بناءً على جمع النصوص الواردة فيها دون تأويلٍ

ولا تحريفٍ لمعانيها، ولا إخراجٍ للنصوص عن سياقاتها ودلالاتها المرادة، وهي تتضمن مسائل متعدّدة سواءً فيما يتعلّق بحقيقة الإيمان وأصله، أو أركانه وواجباته، أو الأحكام المتعلقة بأهله من جهة دنيويّة أو أخرويّة.

ولما كانت معرفة هذه المسائل من جهة بيان حقيقتها وتأصيلها المبنيّ على الكتاب والسّنة من الأهمية بمكان؛ كانت الحاجة لتخصيص بعض هذه المسائل الدقيقة بالدراسة من المهمّات، وخاصّةً إن كانت المسألة من المسائل المُشكلة في بعض جوانبها، أو من المسائل التي وقع فيها خلافٌ عند الطوائف المخالفة. ومن المسائل الدقيقة في باب الإيمان ما يتعلّق بالوعد والوعيد، وأحكام إنفاذ ما توعدّ الله به العاصين، وما جعله الله ﷻ مانعاً لدفع العذاب عن المذنبين، وسبباً في إيقاع العذاب على الكافرين.

ومما جعله سبحانه مانعاً من موانع دفع العذاب عمّن يستحقّه من الموحّدين؛ عفوه ومغفرته المتعلقة بمشيئته ﷻ، فأثرت أن أفرد هذه الصفة العظيمة بالدراسة، وذلك ببيان معناها، وعرض أدلتها، ومناقشة المسائل المتعلقة بها، فكان هذا البحث بعنوان :

العفو الإلهي

- دراسة عقديّة -

❁ أهمية البحث وأسباب اختياره :

أولاً : تتجلّى أهمية هذا الموضوع في ارتباطه بأصلين عظيمين من أصول العقيدة وهما؛ أصل الصفات من جهة أنّ العفو من صفاته ﷻ، وأصل الإيمان من جهة مستحقّيه.

ثانيًا : كثرة النصوص الواردة في هذه المسألة، مما يستدعي جمعها ودراستها والإجابة من خلالها عن الإشكالات التي ترد في هذه المسألة في ضوء فهم السلف.

ثالثًا : إبراز المنهج الوسطي الذي يتميز به أهل السنة والجماعة في تأصيل المسائل والأحكام المتعلقة بالعفو الإلهي، في ضوء دلالات النصوص الشرعيّة.

✽ الدّراسات السابقة :

لم أجد دراسة سابقة خصّصت الحديث عن العفو الإلهي بدراسة عقديّة، ولكن ثمة دراسة تناولت الموضوع ضمن مبحث من مباحثها، وهي بعنوان :

١- موانع إنفاذ الوعيد : دراسة لأسباب سقوط العذاب في الآخرة، أ. د عيسى بن عبد الله السّعدي، وهي رسالة ماجستير من جامعة أم القرى.

٢- ورسالة أخرى للباحث نفسه لها تعلّق بالموضوع، وقد تناولت جوانب منها ضمن موضوعاتها، وهي بعنوان : الوعد الأخروي، شروطه وموانعه، وهي رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى.

✽ منهج البحث :

المنهج المتّبع - بعد توفيق الله تعالى - في هذا البحث قائم على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي؛ وذلك بجمع النصوص الواردة في المسألة، ودراسة المسائل المتعلقة بها في ضوء هذه النصوص.

✽ إجراءات البحث :

١- جمعتُ أولاً النصوص التي تضمّنت لفظ العفو من خلال القرآن الكريم والصّحّاحين والسنن الأربعة؛ لبيان المعنى في ضوءها.

٢- حرصتُ على تأصيل المسائل المتعلقة بموضوع البحث - وهو غاية البحث - وفق النصوص الشرعية والاستشهاد بكلام العلماء فيها، مع إفراد أشهر خلاف في مسألة العفو عن أهل الكبائر في مطلب ومناقشته.

٣- عزوتُ جميع الأقوال لقائلها بوضعها بين قوسين كبيرين () وإحالتها في الهامش.

٤- التزمتُ الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

٥- خرّجتُ الأحاديث من مصادرها الأصلية، وإن كان الحديث من الصّحّاحين فأكتفي بعزوه إليهما، وإن كان من غير الصحيحين فأبيّن حكم العلماء عليه.

٦- لم أترجم للأعلام نظرًا لعدم وجود ضرورة تقتضي ذلك في هذا البحث.

٧- ختمتُ البحث بخاتمة ضمّنتها أبرز النتائج.

٨- ذيلتُ البحث بثبت المراجع وفهرس الموضوعات.

✽ خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة.

وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطّته.

المبحث الأوّل : مفهوم العفو الإلهي وأدلته.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأوّل : معنى العفو الإلهي .

المطلب الثاني : أنواع العفو الإلهي .

المطلب الثالث : أدلة إثبات العفو الإلهي .

المبحث الثاني : العفو عن أصحاب المعاصي .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأوّل : العفو عن أصحاب الصغائر .

المطلب الثاني : العفو عن أصحاب الكبائر .

المطلب الثالث : موقف الوعديّة من العفو عن أصحاب الكبائر .

المبحث الثالث : مسائل متعلقة بالعفو .

وفيه أربعة مسائل :

المسألة الأولى : اشتراط التوبة لوقوع العفو .

المسألة الثانية : حكم العفو فيمن رجحت سيئاته على حسناته .

المسألة الثالثة : العفو عن الشرك الأصغر .

المسألة الرابعة : حكم الاستغفار للمشرّكين وطلب العفو لهم .

ثم الخاتمة، ويليهما ثبت المراجع، وفهرس الموضوعات .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين .



المبحث الأول :

مفهوم العفو الإلهي وأدلته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى العفو الإلهي

المطلب الثاني : أنواع العفو الإلهي

المطلب الثالث : أدلة إثبات العفو الإلهي